المحاضرة الرابعة: الخلفية النظرية للمرافقة النفسية:

كان المربي قديما في العصور اليونانية خادم العائلات الكبرى، وكان من أهم مهامه مرافقة أطفالهم وملازمتهم أثناء مسيرة الطريق لإيصالهم إلى معلميهم لتدريبهم على المواطنة، وكان يتناقش معهم في كل مرة أثناء اجتياز الطريق ويتحدث معهم حول ما اكتسبوه. لقد كان وسيطا بين هذه العائلات والأماكن التي يرتادها الأطفال أنداك. ولعل الثابت أن هذا المرافق لم يكن يطلب منه سوى المشي جنبا إلى جنب مع الطفل لتأمين الطريق والوصول به في الوقت المحدد.

إلا أن هذه المسؤولية جعلت هذا المرافق شخصية هامة وجعلت مهمته دورا سيكون ذا شأن في أدبيات النظريات التربوية الحديثة.

ومع ولادة العلوم الإنسانية ظهر اهتمام متزايد وتطور سريع في النظريات التربوية فنتج عن ذلك تطور في الفكر البيداغوجي الذي جعل من الدور النشيط للذات المتعلمة مدار اهتمامها.

وقد دلت أشغال Paul في 2004 أن مفهوم المرافقة شق التاريخ الإنساني محافظا على مبادئ تعريفه الحديث، وقد ظل هذا المفهوم شاملا رغم استعمالاته في عديد السياقات والمجالات كالتعليم والتكوين والمساعدة والإرشاد وحتى الحكم ولم يتغير شكله على جوهر مفهومه.

إن المفهوم الأولي والقاعدي للمرافقة يعني السير معا في اتجاه محدد وفق قيمة رمزية تمثل في التقاسم ... وعليه فإن المرافقة لا تقوم أساسا على هدف محدد بغية الوصول إليه ولكن على مبدأ هدي المرافق وإرشاده ودله لتحقيق ذلك بنفسه حديثا. تتموضع المرافقة في ملتقى عديد المقاربات والنظريات التربوية والعلاجية والنفسية والتواصلية من ذلك التيار النفسي الإنساني

بقيادة كارل روجرس ونظرية التواصل عند Gregory Batesn إضافة إلى باحثين آخرين أمثال Fourstein

لقد تطورت المرافقة عند روجرز من الحقل النفسي العلاجي إلى المجال التربوي فهو الذي اعتبر دور المرافق هو تحويل القدرات الداخلية للفرد من القوة إلى الفعل انطلاقا من مسلمة مفادها أن كل شخص قادر على التغيير مهما كان العمر أو المعيقات.

ففي حديثه عن المرافق أكد روجرز أنه ذلك الشخص الذي يحسن اعتماد قدراته الإبداعية بتلقائية في مساعدته للآخر ليكون قادرا على مواجهة الحياة بنفسه. وهي علاقة تقوم على علاقة تفاؤل لا مشروط وثقة في الفرد وقدراته المتنامية وتبعه Fourstein في نفس الاتجاه.

من جهة أخرى انتقلت المرافقة إلى أوساط العمل الاجتماعي حتى أن بعض الدول فرضتها ونصت على ضرورتها في التشريعات كقانون ولا سيما مع الأشخاص ذوي الإعاقات الخاصة والأشخاص المسنين لتبقى هذه الممارسة تختلف من ثقافة إلى أخرى بحسب ما يوليه كل مجتمع لغايات نظامه التربوي ومقاصد برامجه وأنشطته.

وبناءا على ما تقدم تظهر المرافقة كمفهوم وممارسة قيمين تتشكل حسب سياق الاستخدام ولكن دون الحياد عن جوهرها الذي ظل ثابتا رغم تحديثه...المرافقة لا تبدو مهمة بيداغوجية بحتة بل تتعداها لتحمل معنى البناء وهي الفكرة التي أضافها "هيجل" على اثر اطلاعه على مؤلف " روسو ايميل" مقرا أن هذا النشاط يجب أن يكون مساعدا على ظهور إمكانات معينة في الطبيعة البشرية وإنضاجها وهذا التحقيق يمثل أساسا نشاط الحرية.